الباب الأول

أحداث ما قبل البعثة

الفصل الأول

نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته في قومه

قال الإمام البخاري رحمه الله: « هو أبو القاسم ، محمد بن عبدالله، بن عبدالمطلب ، بن هاشم ، بن عبدمناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان»[1] .

وقال البغوي في شرح السنة بعد ذكر النسب إلى عدنان: « ولا يصح النسب فوق عدنان »[2].

وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً: « إلى هاهنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين ، ولا خلاف ألبتة ، وما فوق عدنان مختلف فيه ، ولا خلاف بينهم أنَّ عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»[3].

وقد جاء عن ابن سعد في طبقاته: « الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل »[4] .

وعن عروة بن الزبير أنه قال: « ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار: باب مبعث النبي ﷺ فتح الباري: ٧/١٦٢، قبل رقم: ٣٨٥١، شرح السنة: ١٣/١٩٣ ، الذهبي: السيرة النبوية: ص١

(٢) شرح السنة: ١٣/١٩٣

(٣) زاد المعاد: ١/٧١

(٤) ابن سعد: ١/٥٨

قحطان إلا تخرصاً »[1] .

قال الذهبي رحمه الله في كتابه السيرة النبوية: « وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس ، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء »[2] .

أما عن نسبه عليه السلام في قومه فقد كان في خيرهم قبيلة ، وكان أشرَفهم أرومة كما جاء في الصحيح من حديثه عليه الصلاة والسلام:

١ـ فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

(إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني اسماعيل كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[3] .

٢ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه)[4] .

٣ـ ومن حديث عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب قال: أتى أناس من الأنصار إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت في كباء[5] ، فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله ﷺ . قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ـ قال فما سمعناه ، قط ينتمي قبلها ـ إلا إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلق خلقه ، فجعلني من خير خلقه ، ثم فرقهم فرقتين ، فجعلني من خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل، فجعلني من خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً ، فجعلني من خيرهم بيتاً ، وأنا

---

(١) ابن سعد: ١/ ٥٨

(٢) الذهبي في السيرة النبوية: ص ١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل: باب فضل نسب النبي ﷺ ، رقم: ٢٧٧٦ ، شرح السنة: ٣٦١٣، والترمذي في سننه ، أبواب المناقب: باب ما جاء في فضل النبي ﷺ رقم: ٣٦٠٦ وقال حسن صحيح، انظر الفتح الرباني: ٢٠/ ١٧٩ ، وانظر أحمد في المسند: ٤/ ١٠٧ ، والخطيب في تاريخ بغداد: ١٣/ ٦٤

(٤) أخرجه البخاري في المناقب ، باب صفة النبي ﷺ رقم: (٣٥٥٧) ، وأحمد في المسند: ٥/ ٣٧٣، ٤١٧ وابن سعد: ١/ ٢٥.

(٥) الكباء: الكناسة .

خيركم بيتاً ، وخيركم نفساً)[1] .

٤ـ ومن حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال:(أتيت رسول الله ﷺ في وفد ،ولا يروني إلا أفضلهم ، فقلت: يا رسول الله ! ألستم منا ؟ فقال: (نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفو أمنا ، ولا ننتفي من أبينا) فكان الأشعث يقول: « لا أوتى برجل نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد »[2].

٥ـ ومن حديث أبي سفيان رضي الله عنه حين سأله هرقل وقال له:« كيف نسبه فيكم ، قلت: هو فينا ذو نسب » .

وقول هرقل: « وسألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها »[3] .

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب المناقب: باب ما جاء في فضل النبي رقم ٣٦٠٧ـ ٣٦٠٨، وأحمد في المسند:٤/١٦٦، من طريق عبدالله بن الحارث بن نوفل به، وقال الهيثمي في المجمع:٨/ ٢١٥ ـ ٢١٦:«رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».والحديث صحيح .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الحدود: باب من نفى رجلاً من قبيلة: ٢٦١٢ ، وأحمد في المسند: ٥/ ٢١١، ٢١٢ من طريق حماد بن سلمة، عن عقيل بن طلحة السلمي، عن مسلم بن هيضم ، عن الأشعث بن قيس به ، وقال البوصيري في الزوائد: إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وباقي رجال السند على شرط مسلم . قلت: وفي السند قوله: (لا يرون أني أفضلهم) من غير إلا وفيه تصحيف ، والعبارة الصحيحة ما أثبتناه .
لا نقفو أمنا: أي لا نتهمها ، ولا نقذفها

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، حديث رقم: (٧) ، وسيأتي تخريجه في رسائل الرسول إلى الملوك والقياصرة

الفصل الثاني

البشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: صفته في التوراة وتبشير اليهود به

٦ـ عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فقلت: « أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، فقال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: « يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بِفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً »[1] .

٧ـ ومن حديث كعب الأحبار قال: « إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله ، لافظ ولا غليظ ، ولا سَخَّاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون ، يحمدون الله في كل منزلة ، ويكبّرونه على كل نجد ، يأتزرون إلى أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، صفُّهم في الصلاة ، وصفُّهم في القتال سواء ، مناديهم ينادي في جو السماء ، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل ، مولده بمكة ، ومهاجره بطابة ، وملكه بالشام»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع في الأسواق: ٢١٢٥ ، وفي التفسير حديث: ٤٨٣٨ ، وأخرجه أيضاً في كتاب الأدب المفرد حديث: ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/ ٣٧٤ـ ٣٧٥، من طريق هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار

حرزاً للأميين: حافظاً لهم ، والسخاب: رفع الصوت بالخصام . حتى يقيم به الملة العوجاء: ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها .

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة: ١/ ٤ـ٥ من طريق الأعمش عن أبي صالح قال: قال كعب: ورجاله ثقات، وجاء في دلائل النبوة للبيهقي: ١/ ٣٧٧، عن أم الدرداء قالت: قلت لكعب الأحبار ـ وذكر شبيهاً بهذا البيهقي وقد جاء عند الدارمي: ١/ ٦، من طريق معاوية بن صالح عن أبي فروة ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعب الأحبار

٨ ـ ومن حديث سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه: وكان من أصحاب بدر قال: « كان لنا جار من يهود في بني عبدالأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير ، فوقف على مجلس عبدالأشهل ، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً عليَّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت .

فقالوا له: ويحك يا فلان ، ترى هذا كائناً أنَّ الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال: نعم ، والذي يحلف به ، ولَوَدَّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ، ثم يدخلونه إياه ، فيطبق به عليه ، وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له: ويحك ، وما آية ذلك ؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن.

قالوا: ومتى تراه ؟ قال: فنظر إليَّ ـ وأنا من أحدثهم سناً ـ فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه » .

قال سلمة: « فوالله ما ذهب الليل والنهار ، حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ، وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا: ويلك يا فلان ، ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال: بلى: وليس به »[1] .

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ١/ ٢١٢ من طريق ابن إسحاق ، قال: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد ، عن سلمة به ، فصرح ابن إسحاق بالتحديث فانتفت شبهة التدليس » .
ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٤٦٧، والطبراني في الكبير حديث: ٦٣٢٧ ، والبخاري في التاريخ الكبير: ٢/ ٢/ ٦٨ ـ ٦٩ ، وأبو نعيم في الدلائل: ١٩١ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٤١٧ـ٤١٨ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٧٨ـ ٧٩ وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٣٠. رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع » . فالحديث صحيح .
يأسها من بعد انكاسها: يأسها من الاستماع في السماع ، أو استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته ، فانقلبت عن الاسترق ، وقد يئست من السماع .
القلاص: جمع قلوص: وهي الفتية من النياق .
جليح: الوقح المكافح بالعداوة .

المبحث الثاني: أخبار الكهان عن بعثته

٩- من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « ما سمعت عمر بشيء قط يقول: إني لأظنه كذا ، إلا كان كما يظنُّ .

بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال عمر:« لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، عليَّ الرجل ، فدعي له ، فقال له ذلك .

فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم . قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني . قال: كنت كاهنهم في الجاهلية .قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق ، جاءتني أعرف منها الفزع ، فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها ويأسها من بعد إنكاسها

ولحوقها بالقلاص واحلاسها

قال: صدق ، بينما أنا نائم عند آلهتهم ، إذ جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله فوثب القوم ، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى: يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول: لا إله إلا الله . فقمت ، فما نشبناً أن قيل: هذا نبي » [(١)] .

١٠- ومن حديث جابر رضي الله عنه قال: « أن أول خبر قدم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع قال: فأتاها في صورة طير ، فوقع على جذع لهم ، قال: فقالت: ألا تنزل فنخبرك وتخبرنا ، قال: إنه قد خرج رجل بمكة حرم علينا الزنا ، ومنع منا القرار » [(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ، باب إسلام عمر: ٣٦٥٣ ، ومناقب الأنصار: ٣٨٦٦ والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٢٤٨ . وابن أبي خثيمة في تاريخه، والروياني في مسنده ، كما عزاه إليهما ابن حجر في الإصابة: (٢/ ٩٥) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٣٥٦ ، عن طريق إبراهيم بن أبي العباس أبو المليح، حدثنا عبدالله بن محمد بن عقيل به ، وأبو نعيم في الدلائل: ١/ ١٠٧ حديث: ٥٦، وابن سعد في الطبقات: ١/ ١٨٩ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٤٣: رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا .

المبحث الثالث

تبشير النبيين به وكيف كان أول أمره

١١ـ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: « قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ » قال: (دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي نوراً أضاءت منه قصور الشام) [(١)].

١٢ـ ومن حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إني عندالله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم) [(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٢٦٢ . والطبراني في المعجم الكبير: ٧٧٢٩. والبيهقي في الدلائل: ١/ ٨٤ وابن سعد في الطبقات: ١/ ١٠٢من طريق فرج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٢ وإسناد أحمد حسن ، وله شواهد تقويه » . قلت: ومن هذه الشواهد الحديث الذي يليه عن العرباض بن ساريه رقم: ١٢ ، وحديث عتبه بن عبدالسلمي برقم: ٢٤ ومن حديث خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فذكر شبيهاً بهذا بزيادة ، أخرجه الحاكم: ٢/ ٦٠٠ ، والبيهقي في الدلائل: ١/ ٨٤ ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في البداية: ٢/ ٢٥٦ صرح ابن إسحاق بالتحديث فيها ، وهذا إسناد جيد قوي . قلت: فالحديث حسن لشواهده .

(٢) أخرجه أحمد: ٤/ ١٢٧ ، ١٢٨ ، والطبراني في الكبير: ١٨/ ٢٥٢ ، والبيهقي في الدلائل: ١/ ٨٠ ، والبزار كما في كشف الأستار: ٣/ ١١٢ـ ١١٣ . حديث: ٢٣٦٥ من طريق سعيد بن سويد ، عن عبدالأعلى بن هلال ، عن العرباض به .
وأخرجه الحاكم: ٢/ ٦٠٠ من طريق سعيد بن سويد ، وعنده رجل ضعيف هو ابن أبي مريم . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٣ رواه أحمد ، والطبراني نحوه ، والبزار وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد ، ووثقه ابن حبان .
وللحديث شواهد انظرها في الحديث الذي قبله ، ومن حديث ميسرة: أخرجه أحمد: ٥/ ٥٩ ، والحاكم: ٢/ ٦٠٨ـ ٦٠٩ ، والبيهقي في الدلائل: ١/ ٨٤ ـ ٨٥ .

الفصل الثالث

حالة المجتمع الجاهلي قبل البعثة النبوية

١٣ـ حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضي الله عنه للنجاشي وقوله:

« أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمر بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة»[1] .

١٤ـ حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة »[2] .

١٥ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « إن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء: **فنكاح منها نكاح اليوم**: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته ، فيصدقها ثم ينكحها .

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً ، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل

---

(١) الحديث صحيح انظر حديث رقم: ٩٤

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، حديث: ٩٣٤. وأحمد: ٥/٣٤٢،٣٤٣، ٣٤٤ ، والبيهقي في السنن: ٤/٦٣، والحاكم في المستدرك: ١/٣٨٣، وقد جاء من حديث أبي هريرة شبيهاً بهذا الحديث ، وأخرجه الترمذي: ١٠٠٤ ، والطيالسي: ٢٣٩٥ ، وأحمد: ٢/٢٩١ ، ٤١٤ ، ٤١٥، ٤٥٥، ٥٢٦، ٥٣١ ، والبزار ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣/١٣ ، رواه البزار ، وإسناده حسن

ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ، ووضعت ، ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل .

والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها ، وهنَّ البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهنَّ دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون ، فالتاطه به ، ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك . فلما بُعث محمد بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم »[1].

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ، باب من قال لا نكاح إلا بولي: رقم: ٥١٢٧ ، وأبو داود في الطلاق ، باب في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية: ٢٢٧٢ ، والبيهقي في سننه: ٧/ ١١٠، ١٩٠ .

obeikandl.com

الباحثون عن الدين الحق في الجاهلية

زيد بن عمرو بن نُفيل

٤٣ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلّي أن أدين دينكم فأخبرني ، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله .

قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً ، وأنّى أستطيعه ؛ فهل تدلني على غيره ؟

قال ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً . قال زيد: وما الحنيف ؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانيا ، ولا يعبد إلا الله .

فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر مثله ، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأنّى استطيع ؟ فهل تدلني على غيره ؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف ؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانيا، ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه، فقال:اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم»[1] .

٤٤ـ من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: « رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يحيي الموؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها »[2] .

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، رقم: ٣٨٢٧ ، فتح الباري: ١٤٢/٧.

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم: ٣٨٢٨ فتح الباري: ١٤٣/٧ معلقاً ، ووصله الحاكم في المستدرك: ٤٤٠/٣ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، بل أخرجاه كما سبق ذكره ، وقال الحافظ: وصله جماعة ذكرهم في الفتن .

٤٥ـ أ ـ ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ لقي زيد ابن عمرو بن نفيل بأسفل بَلدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي ، فقُدِّمت إلى النبي ﷺ سفرة ،فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد: إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه .

وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول: الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك وإعظاماً له »[1] .

٤٥ـ ب ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: « كنت من أهل فارس من أهل أصبهان ، من قرية يقال لها جَيٌّ ، وكان أبي دِهْقَان أرضه ، وكان يحبني حبّاً شديداً لم يحبه شيئاً من ماله ولا ولده ، فما زال به حبُّه إيّايَ حتى حبسني في البيت كما تحبس الجارية . واجتهدت في المَجُوسِيَّة حتى كنت قَطن النَّار (الذي يُوقِدُهَا) ولا يَتْرُكُها تَخْبُو ساعة ، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه ، حتَّى بنى أبي بنياناً له ، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل ، فدعاني فقال: أي بني ، إنه قد شغلني ما ترى من بنياني عن ضيعتي هذه ، ولا بدَّ لي من اطلاعها ، فانطلق إليها فأمرهم بكذا وكذا ولا تحتبسنَّ عنِّي ، فإنك إن احتبست عنِّي شغلتني عن كلِّ شيءٍ . فخرجت أريد ضَيعته ، فمررت بكنيسة النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلون . فدخلت أنظر فأعجبني ما رأيت من حالهم . فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس .

وبعث أبي في طلبي في كل وجهة حتى جئته حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعته ، فقال أبي: أين كنت ؟ ألم أكن قلت لك ؟ فقلت: يا أبتاه مررت بناس يقال لهم النَّصارى ، فأعجبني صلواتهم ودعاؤهم ، فجلست أنظر كيف يفعلون . فقال: أيْ بُنَي دينك ودين آبائك خيرٌ من دينهم . فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم ، هؤلاء قومٌ يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت . فخافني ، فجعل في رجْليَّ حديداً ، وحبسني في بيت عندَهُ ، فبعثتُ إلى النصارى ، فقلت لهم: أين أصْلُ هذا الدين الذي أراكم

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم: ٣٨٢٦ ، فتح الباري: ١٤٢/٧ .

عليه ؟ فقالوا: بالشام. فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك ناسٌ فآذنُوني ، قالوا: نفعل . فقدم عليهم ناسٌ في تجارتهم .

فبعثوا إليَّ أنَّه قد قدم علينا تجار من تجارنا . فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذِنُوني . فقالوا: نفعل . فلما قضوا حوائجهم وأرادوا الرَّحيل بعثوا إليَّ بذلك ، فطرحت الحديد الذي في رجليَّ ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام . فلما قدمتها ، قلت: من أفضل أهل هذا الدين ؟ فقالوا: الأسقُف صاحب الكنيسة . فجئته ، فقلت له: أحببت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد الله معك ، وأتعلم منك الخير . قال: فكن معي .

قال: فكنت معه ، وكان رجل سَوْءٍ ؛ كان يأمرهم بالصَّدقة ويرغِّبهم فيها . فإذا جَمعوها إليه اكْتَنَزَهَا ولم يعطها المساكين . فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله ، فلم ينْشَب أن مات ، فلما جاءُوا ليدفنوه قلت لهم: إن هذا رجل سَوْءٍ ؛ كان يأمركم بالصدقة ويرغِّبكم فيها ، حتى إذا جمعتموها إليه اكتَنَزَها ولم يعطها المساكين . فقالوا: وما علامة ذلك ؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزه . فقالوا: فهاته. فأخرجت لهم سبع قلالٍ مملوءَة ذهباً وَوَرِقاً . فلمَّا رأوا ذلك قالوا: والله لا يدفن أبداً . فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة ، وجاءُوا برجل آخر فجعلوه مكانه . فلا والله يا ابن عبَّاس ، ما رأيتُ رجلاً قط لا يصلي الخمس أرى أنَّه أفْضَل منه أشدَّ اجتهاداً ، ولا أزْهَدَ في الدُنيا ، ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه . ما أعلمني أحببت شيئاً قط، قبله ، حُبَّه . فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة .

فقلت: يا فلان ، قد حضرك ما ترى من أمر الله. ، وإني والله ما أحببت شيئاً، قط ، حُبَّك ، فماذا تأمرني ؟ إلى من توصيني ؟ فقال: أي بني ، والله ما أعلمه إلا رجلاً بالمُوصل فائته ، فإنك ستجده على مثل حالي .

فلما مات (وغُيِّب) لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها ، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزَّهادَة في الدنيا ، فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك وأكون معك . قال: فأقم أي بني . فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه ، حتى حضرته الوفاة . فقلت له: إنَّ فلاناً أوصاني إليك وقد حَضَرَك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصيني ، فقال: والله ما أعلمه ، أي بني ، إلا رجلٌ بنصيبين وهو على مثل ما نحن عليه ، فالحقْ به ، فلما دفناه . لحقت بالآخر فقلت له: يا فلان ، إن فلاناً أوصاني إلى فلان، وفلان أوصاني إليك . قال: فأقم يا بني.

فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة . فقلت له: يا فلان ، إنَّه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلانٌ أوصاني إلى فلانٍ ، وأوصاني فلانٌ إلى فلان ، وأوصاني فلان إليك ، فإلى من توصيني ؟ قال لي: أي بنيّ ، والله ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجل بعمُّورية من أرض الرُّوم ، فأتِهِ ، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه .

فلما وَارَيْتُهُ ، خرجت حتى قدمت على صاحب عَمُّوريَّة ، فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده، واكتسبت حتى كان لي غُنَيمةٌ وبقرات . ثم حضرته الوفاة. فقلت: يا فلان ، إن فلاناً كان أوصاني إلى فلان ، وفلانٌ إلى فلان ، وفلان إليك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصيني ؟

قال: أي بني، والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه . ولكنَّه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مُهاجَرُهُ بين حَرَّتَيْن ، إلى أرض سِبخةٍ ذات نخيل، وإنَّ فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوَّة ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة. فإن استطعت أن تَخْلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه.

فلما واريناه ، أقمت حتى مَرَّ رجالٌ من تجار العرب من كَلبٍ ، فقلت لهم: تحملوني معكم حتى تقدموا بي أرض العرب ، وأعطيكم غنيمتي هذه وبقراتي ؟ قالوا: نعم . فأعطيتهم إياها ، وحملوني حتى إذا جاءُوا بي وادي القرُى ظلموني فباعوني عَبداً من رجل من يهود ، بوادي القُرى . فوالله لقد رأيت النخل ، وطمعت أن تكون البلد الذي نَعَتَ لي صاحبي وما حقت عندي ، حتى قدم رجل من بني قُريظة ، من يهود وادي القرى ، فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده ، فخرج بي حتى قدم المدينة . فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعمته ، فأقمت في رِق مع صاحبي .

وبعث الله رسوله ﷺ ، بمكة لا يذكر لي شيئاً من أمره مع ما أنا فيه من الرِّق حتى قدم رسول الله ﷺ قُباء ، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له . فوالله إني لفيها إذ جاءَ ابن عم له ، فقال: يا فلان قاتل الله بني قَيْلة ، ووالله إنهم الآن لفي قُباءَ مجتمعون على رجل من مكة ، يزعمون أنه نبي ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها ، فأخذتني «العُرَوَاءُ » ـ يقول « الرِّعدة » ـ حتى ظننت لأسقطن على صاحبي . ونزلت أقول: ما هذا الخبر ؟ ما هو ؟ فرفع مولاي يده ، فلكمني

لكمة شديدة ، وقال: ما لك ولهذا ؟ أقبل قِبَلَ عملك . فقلت: لا شيء ، إنما سمعت خبراً فأحببت أن أعلمه. فلمَّا أمسيت ، وكان عندي شيءٌ من طعام ، فحملته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ ، وهو بِقُباء ، فقلت: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شيء للصدقة ، فرأيتكم أحقَّ مَنْ بهذه البلاد (به) فها هو ذا فكل منه . فأمسك رسول الله ، ﷺ بيده ، وقال: لأصحابه: كُلوا ، ولم يأكل . فقلت في نفسي هذه خلة مما وصَفَ لي صاحبي .

ثم رجعت ، وتحوَّل رسولُ الله ﷺ ، إلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئته به ، فقلت: إن قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة . فأكل رسول الله ﷺ ، وأكل أصحابه . فقلت: هذه خلتان .

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعلي شملتان لي وهو في أصحابه ، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره ، فلما رآني رسول الله ﷺ ، استَدْبَرْتُه عَرَفَ أني استَثْبِتُ شيئاً قد وُصف لي ، فوضع رداءَه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي فأكْبَبْتُ عليه أقبله وأبكي . فقال: تحوَّل يا سلمان هكذا . فتحولت فجلست بين يديه . وأحب أن يُسْمع أصحَابه حديثي عنه . فحدَّثته يا ابن عباس كما حدَّثتك . فلما فرغت قال رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان . فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها ، وأربعين أوقية . وأعانني أصحاب رسول الله ﷺ ، بالنخل: ثلاثين وَدِيَّة[1] . وعشرين وَدِيَّة ، وَعَشْرٍ ، كل رجل منهم على قدر ما عنده . فقال لي رسول الله ﷺ: فَقِّرْ لها[2] فإذا فرغت فآذِنّي حتى أكون الذي أضعها بيدي .

ففقرتها وأعانني أصحابي ـ يقول حَفَرْتُ لها حيث توضع ـ حتى فرغنا منها . ثم جئت رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله ، قد فرغنا منها فخرج معي حتى جاءَها ، وكنا نحمل إليه الوَديَّ ، ويضعه بيده ، ويُسَوِّي عليها . فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها وَدِيَّة واحدةٌ . وبقيت عليَّ الدراهم . فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البَيْضة من الذّهب ، فقال رسول الله ﷺ: أين الفارسي المسلم المكاتب ؟ فدعِيتُ له ، فقال: خذ هذه يا سلمان ، فأدها مما عليك . فقلت: يا

---

(١) الودية: النخلة الصغيرة .

(٢) فقر لها: أي احفر .

رسول الله ، وأين تقع هذه مما علي ؟ قال: فإن الله تعالى سيؤدي بها عنك . فوالذي نفس سلمان بيده لوَزَنْتُ لهم منها أربعين أوقيَّة ، فأدَّيتها إليهم وعتق سلمان. وكان الرِّق قد حبسني حتى فاتني مع رسول الله ﷺ ، بدْرٌ وأحُدٌ ، ثم عتقت فشهدت الخندَق ، ثم لم يفتني معه مشهد [1]

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٤٤١-٤٤٤ ، وابن هشام في السيرة: ١/ ٢٢٨ ـ ٢٣٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٩٢ ـ ٩٧ والخطيب في التاريخ: ١/ ١٦٤-١٦٩ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة: ١٩٩ ، وابن سعد في الطبقات: ٤/ ٧٥ ـ ٨٠ ، والطبراني في الكبير برقم: ٦٠٦٥ ، جميعاً من طريق ابن اسحاق، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن سلمان به .
وقد صرح ابن اسحاق بالتحديث فزالت شبهة التدليس والإسناد حسن .

obeikandl.com

الفصل الرابع

قصة حفر زمزم

١٦ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ـ قال: « قال عبدالمطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي: احفر طيبة . قلت: وما طيبة ؟ قال: ثم ذهب عني .

قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه ، فجاءني فقال: احفر برَّة ، قال: قلت وما برَّة ؟ قال: ثم ذهب عني .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني . فقال: احفر المضنونة . قال: قلت: وما المضنونة ؟ قال: ثم ذهب عني .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه . فجاءني فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم ؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تذم ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل .

قال: فلما بين شأنها ، ودلَّ على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطلب ، وليس معه يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطيُّ كبَّرَ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا: يا عبدالمطلب إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإنَّ لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها . قال: ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وأعطيته من بينكم . قالوا له: فأنصفنا ، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه . قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم ، قال: نعم ، وكانت بأشراف الشام.

فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز ، حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبدالمطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم،

وقالوا: إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم . فقال عبدالمطلب: إني أرى أن يحفر كلُّ رجل منكم حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفنه أصحابه في حفرته ثم واروه ، حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه . فقالوا: نعم ما أمرت به .

فحفر كل رجل لنفسه حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً .

ثمَّ إنَّ عبدالمطلب قال لأصحابه: والله إنَّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا ضرب في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد ، ارتحلوا . فارتحلوا حتى إذا بعث عبدالمطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبَّر عبدالمطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم ، ثم دعا قبائل قريش ـ وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال ـ فقال: هَلمُّوا إلى الماء فقد سقانا الله ، فجاءوا فشربوا ، واستقوا كلهم ، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا ، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخَلَّوا بينه وبين زمزم » .

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم [1].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق بسنده ، فقال: حدثني يزيد بن حبيب المصري ، عن مرثد بن عبدالله اليزني ، عن عبدالله بن زرير أنه سمع علي بن أبي طالب ، فذكره ....
انظر السيرة النبوية لابن هشام: ١/١٤٢ـ ١٥٥ .والسير والمغازي لابن إسحاق صفحة: ٢٤ـ٢٥ تحقيق سهيل زكار . والبيهقي في الدلائل: ١/٩٣ـ٩٥ ، من طريق ابن إسحاق ، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، فسنده صحيح ، وله شاهد من مرسل الزهري عند عبدالرزاق في المصنف ، حديث رقم: ٩٧١٨، ٥/٣١٤ ، ورواه ابن سعد في طبقاته: ١/٨٣ـ٨٥ من طريق الواقدي ، وهو ضعيف . فالحديث بهذا صحيح من طريق البيهقي وابن هشام .

الفصل الخامس

أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

المبحث الأول: مولده صلى الله عليه وسلم

ولد في ربيع الأول يوم الإثنين بلا خلاف ، والأكثرون على أنه ليلة الثاني عشر منه [1] .

وقال خليفة بن خياط: والمجمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل [2].

١٧- من حديث قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه قال: « ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ، فنحن لِدَّان ، ولدنا مولداً واحداً »[3].

١٨- ومن حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن صوم يوم الاثنين قال رسول الله ﷺ: (ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت أو أنزل عليَّ فيه) [4].

١٩- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحَجَرَ الأسود يوم الاثنين » [5] .

٢٠- ومن حديث ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنهما قالا: « ولد رسول

---

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١/١٥٨ ، تاريخ الطبري: ٢/١٥٤-١٥٧ ، الاستيعاب: ١/٣٠-٣١ ، البداية والنهاية: ٢/٢٥٩-٢٦٢ ، دلائل النبوة لأبي نعيم: ١/٤٠ ، دلائل النبوة للبيهقي: ١/٨٩-٩٤.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ١/٢٠٣

(٣) أحمد: ٤/٢١٥ ، والترمذي في المناقب باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ بزيادة: ٣٦١٩وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالتحديث ، فانتفت الشبهة في التدليس » قلت وبذلك يصح الحديث .

(٤) مسلم: كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر: ١١٦٢ وأبو داود في الصيام ، باب في صوم الدهر تطوعاً رقم: ٢٤٢٦

(٥) أخرجه أحمد: ١/٢٧٧ ، والطبراني في الكبير: ١٢٩٨٤ من طريق ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني به ، ومن الرواة عن ابن لهيعه عمرو بن خالد عند الطبراني ، وقد سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه ، فالحديث بهذا حسن، وله شواهد، انظر ما بعده: ٢٠ . وقال الهيثمي في المجمع: ١/١٩٦، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح .

الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات » . هذا هو المشهور عند الجمهور . والله أعلم[1] .

٢١ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ولد رسول الله ﷺ عام الفيل »[2] .

المبحث الثاني: مرضعاته عليه الصلاة والسلام

ثويبة مولاة أبي لهب مولاة بني هاشم

٢٢ـ من حديث زينب ابنة أبي سلمة أنَّ أمَّ حبيبة رضي الله عنها أخبرتها أنها قالت: « يا رسول الله ، انكح أختي بنت أبي سفيان ، فقال: أو تحبين ذلك ؟ فقالت: نعم ، لست لك بِمُخْلِيةً ، وأحَبُّ من شاركني في خير أختي » . فقال النبي ﷺ: (إنَّ ذلك لا يحلُّ لي . قلت: فإنا نُحَدَّثُ أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة . قال: بنت أم سلمة ؟ قلت: نعم . فقال: لو أنَّها لم تكن ربيبتي في حجري ما حَلَّت لي ، إنها لابنة أخي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة ، فلا تَعْرِضَنَّ عليَّ بناتكن ، ولا أخواتكن)[3] .

---

(١) ابن أبي شيبة في مصنفه ، وإسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح ، انظر السيرة النبوية ، لابن كثير: ١/١٩٩

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ١٢٤٣٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/١٠ ، والبزار كما في كشف الأستار: ١/١٢١ ، حديث: ٢٢٦ عن طريق يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير به .
وقال الهيثمي في المجمع: ١/١٩٦: رواه البزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٣) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب: ﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ﴾ رقم: ٥١٠١ ، فتح الباري: ٩/١٤٠، مسلم: ١٤٤٩ ، الرضاع ، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة ، وأبو داود: ٢٠٥٦ النكاح ، وباب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وابن ماجه: ١٩٣٩ كتاب النكاح ، باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ، والنسائي في النكاح ، باب تحريم الجمع بين الأختين: ٦/٩٦ ، وابن سعد في الطبقات: ١/١٠٨ .
قمراء: القمرة لون البياض إلى الخضرة .وادمت: حدثت في ركبها جروح دامية باصطكاكها ، والشارف: الناقة المسنة . وبض: سال منه الماء شبه العرق أي قليلاً قليلاً ، شهباء: مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر.

حليمة السعدية

٢٣- من حديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما: قال: « لما وُلد رسول الله ﷺ قدمت حليمة بنت الحارث ، في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسون الرضعاء بمكة.

قالت حليمة: فخرجت في أوائل النسوة على أتان لي ، قمراء ، ومعي زوجي الحارث بن عبدالعزى ، أحد بني سعد بن بكر ، ثم أحد بني ناضرة ، قد أدمت أتاننا، ومعي بالركب شارف والله ما تبض بقطرة لبن ، في سنة شهباء . قد جاع الناس حتى خلص إليهم الجهد ، ومعي ابن لي ، والله ما ينام ليلنا ، وما أجد في يدي شيئاً أعلله به ، إلا أنا نرجوا الغيث ، وكانت لنا غنم ، فنحن نرجوها.

فلما قدمنا مكة فما بقي منا أحد إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فكَرِهَتْهُ ، فقلنا: إنه يتيم ، وإنما يكرم الظئر ، ويحسن إليها الوالد ، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه أو عمه أو جده ، فكلُّ صواحبي أخذ رضيعاً ، فلما لم أجد غيره، رجعت إليه ، وأخذته ، والله ما أخذته إلا إني لم أجد غيره ، فقلت لصاحبي: والله لآخذنَّ هذا اليتيم من بني عبدالمطلب ، فعسى الله أن ينفعنا به ، ولا أرجع من بين صواحبي ولا آخذ شيئاً ، فقال: قد أصبت .

قالت: فأخذته ، فأتيت به الرَّحْلَ ، فوالله ما هو إلا أن أتيت به الرَّحْلَ ، فأمسيت أقبل ثدياي باللبن ، حتى أرويته ، وأرويت أخاه ، وقام أبوه إلى شارفنا تلك يلمسها ، فإذا هي حافل ، فحلبها ، فأرواني وروي ، فقال: يا حليمة ، تعلمين والله لقد أصبنا نسمة مباركة ، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمنَّ ، قالت: فبتنا بخير ليلة ، شباعاً ، وكنا لا ننام ليلنا مع صبينا .

ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصواحبي ، فركبت أتاني القمراء ، فحملته معي ، فوالذي نفس حليمة بيده لقطعَتْ الركب حتى ان النسوة ليقلن: أمسكي علينا ، أهذه أتانك التي خرجت عليها ؟ فقلت: نعم ، فقالوا: إنها كانت أدمت حين أقبلنا فما شأنها ؟ قالت ، فقلت: والله حملت عليها غلاماً مباركاً .

قالت: فخرجنا ، فما زال يزيدنا الله في كل يوم خيراً ، حتى قدمنا والبلاد سِنَةٌ ، ولقد كان رعاتنا يسرحون ثم يريحون ، فتروح أغنام بني سعد جياعاً ، وتروح غنمي شباعاً ، بِطاناً ، حفلاً ، فنحتلب ، ونشرب ، فيقولون: ما شأن

غنم الحارث بن عبدالعزى ، وغنم حليمة تروح شباعاً حفلاً ، وتروح غنمكم جياعاً ؟ ويلكم اسرحوا حيث تسرح غنم رعاؤهم ، فيسرحون معهم ، فما تروح إلا جياعاً ، كما كانت ، وترجع غنمي كما كانت .

قالت: وكان يشب شباباً ما يشبه أحد من الغلمان ، يشب في اليوم شباب الغلام في الشهر ، ويشب في الشهر شباب السنة ، فلما استكمل سنتين أقدمناه مكة ، أنا وأبوه ، فقلنا: والله لا نفارقه أبداً ونحن نستطيع ، فلما أتينا أمه ، قلنا: أي ظئر ! والله ما رأينا صبياً قط أعظم بركة منه ، وإنا نتخوف عليه وباء مكة وأسقامها ، فدعيه نرجع به حتى تبرئي من دائك ، فلم نزل بها حتى أذنت، فرجعنا به ، فأقمنا أشهراً ثلاثة أو أربعة.

فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بُهْم له ، إذ أتى أخوه يشتدُّ ، وأنا وأبوه في البدن ، فقال: إن أخي القرشي ، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأخذاه واضطجعاه ، فشقَّا بطنه ، فخرجت أنا وأبره يشتدُّ ، فوجدناه قائماً ، قد انتقع لونه ، فلما رآنا أجهش إلينا ، وبكى ،قالت: فالتزمته أنا وأبوه ، فضممناه إلينا ، فقلنا: مالك بأبي أنت ؟ فقال: أتاني رجلان وأضجعاني ، فشقا بطني ، وصنعا به شيئاً ، ثم رداه كما هو ، فقال أبوه: والله ما أرى ابني إلا وقد أصيب، إلحقي بأهله ، فرديه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوف منه .

قالت: فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فلما رأتنا أنكرتْ شأننا ، وقالت: ما رجعكما به قبل أن أسألكماه ، وقد كنتما حريصين على حبسه؟ فقلنا: لا شيء إلا أن قد قضى الله الرضاعة وسرّنا ما نرى ، وقلنا: نؤويه كما تحبون أحبَّ إلينا، قال: فقالت: إن لكما شأناً فأخبراني ما هو ، فلم تدعنا حتى أخبرناها ، فقالت: كلا والله ، لا يصنع الله ذلك به ، إن لابني شأناً ، أفلا أخبركما خبره ، إني حملت به ، فوالله ما حملت حملاً قط ، كان أخف علي منه ، ولا أيسر منه ، ثم أُريت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل ببصري ـ أو قالت: قصور بصرى ـ ثم وضعته حين وضعته، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان ، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضه وانطلقنا»[1].

---

(١) رواه ابن حبان كما في الموارد: ٥١٢ ، ٥١٣ ، والطبراني في الكبير: ٢٤/٢١٢ـ٢١٥ ، والبيهقي في الدلائل: ١/١٣٣ـ١٣٦ ، والسيرة النبوية بشرح الخشني: ١/٢١٤ وإسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية: ٤/١٦٧ـ١٧١ ، وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد: ٨/٢٢١ جميعاً من طريق بن إسحاق، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية السيرة ، وقال الهيثمي في المجمع: ٨/٢٢٧ ، رواه

المبحث الثالث: شق صدره وذر السكينة على قلبه

سبق ذكرها في الحديث السابق

٢٤ـ من حديث عتبة بن عبدالسلمي رضي الله عنه: « أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال: (كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها في بُهْم لنا ، ولم نأخذ معنا زاداً .

فقلت: يا أخي ، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا .

فانطلق أخي ، ومكثت عند البهم ، فأقبل طيْرَان أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو ؟ قال: نعم ، فأقبلا يبتدراني ، فأخذاني ، فبطحاني إلى القفا ، فشقَّا بطني ، ثم استخرجا قلبي ، فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه: ـ قال: يزيد في حديثه ـ ائتني بماء ثلج ، فغسلا به جوفي ، ثم قال: ائتني بماء برد ، فغسلا به قلبي ، ثم قال: ائتني بالسكينه ، فذَرَّاها في قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطه ، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة .

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كِفَّةٍ ، واجعل ألفاً من أمته في كفة ، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي ، أشفق أن يخرَّ عليَّ بعضهم ، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم ، ثم انطلقا وتركاني .

وفرقتُ فرقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمي ، فأخبرتها بالذي لقيته ، فأشفقت عليَّ أن يكون ألبس بي قالت: أعيذك بالله ، فرحَّلت بعيراً لها ، فجعلتني أو فحملتني على الرحل ، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي فقالت: أديت أمانتي وذمتي ، وحدثتها بالذي لقيت ، فلم يرعها ذلك ، فقالت لي: رأيت خرج مني نور ، أضاءت منه قصور الشام) [1].

أبو يعلى ، والطبراني بنحوه إلا أنه قال: حليمة بنت أبي ذؤيب ، ورجالهما ثقات ، قلت ولكثير من مقاطع الحديث شواهد تقويها ولذلك فالحديث حسن لشواهده .

وناقة حافل: كثير لبنها .لقطعت: سبقت

(١) رواه أحمد في المسند: ٤/ ١٨٤ـ١٨٥، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦١٦ـ٦١٧، والطبراني في الكبير/ ١٣١/ ١٧ ، والدارمي في المقدمة ، باب كيف كان أول شأن النبي: ١/ ٨ ، جميعاً من طريق بقية ، حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان، عن ابن عمرو السلمي ، عن عتبة بن عبدالسلمي ، وقد صرح بقية بالتحديث عندهم جميعاً إلا عند الدارمي ، وبقية إذا روى عن بحير فهو معتد به، ومقبول وموثق،

٢٥ـ وقد جاء من حديث أنس رضي الله عنه باختصار أكثر فقال: « إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه « يعني ظئره » فقالوا: إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه ، وهو منتقع اللون » . قال أنس: « وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[(١)].

وقد حدثت أيضاً حادثة شقِّ الصدر مرة أخرى في رحلة الإسراء والمعراج ، وسيأتي تفصيلها هناك فانظرها .

المبحث الرابع: وفاة أمه عليه السلام وزيارته قبرها بعد البعثة

٢٦ـ قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: « أنَّ أم رسول الله ﷺ توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة. كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة » [(٢)].

٢٧ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « زار النبي ﷺ قبر أمه ، فبكى وأبكى من حوله ، فقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا ـ القبور ، فإنها تذكر الموت»[(٣)].

وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٢ إسناد أحمد حسن ، وللحديث شواهد سبق ذكرها تحت رقمي: ١١ـ ١٢ ، فالحديث صحيح .

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم: ٢٦١ ، أحمد في المسند: ٣/ ١٢١، ١٤٩، ٢٢٨، والحاكم في المستدرك: ٢/ ١١٦ـ١١٧ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٧ ـ ٨، والدارمي في المقدمة ، باب كيف كان أول شأن النبي: ١/ ٨ـ٩.
ومعنى منتقع اللون: متغير اللون .والمخيط: الإبرة .لأمه: جمعه ، وضم بعضه إلى بعض .

(٢) ابن هشام في السيرة: ١/ ١٦٨ ، عن ابن إسحاق ، ورجاله ثقات ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، فزالت شبهة تدليسه ، ابن كثير: ١/ ٢٣٥ .

(٣) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ في زيارة قبر أمه الحديث رقم: ٩٧٦، ٢/ ٦٧١ .

المبحث الخامس: كفالة جده وحبه له

٢٨ـ من حديث كندير بن سعيد عن أبيه قال: حججت في الجاهلية فإذا رجل يطوف بالبيت وهو يرتجل يقول:

رب رد راكبي محمداً ... رده لي واصطنع عندي يداً

قلت: من هذا يعني ؟ قال: عبدالمطلب بن هاشم ذهبت إبل له ، فأرسل ابن ابنه في طلبتها ، فاحتبس عليه ، ولم يرسله في حاجة قط إلا جاء بها ، قال: فما برحت حتى جاء النبي ﷺ ، وجاء بالإبل فقال: يا بني ، لقد حزنت عليك كالمرأة حزناً لا يفارقني أبداً » [(١)] .

المبحث السادس: رعيه الغنم وعصمة الله له من الزلل

٢٩ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله ؟ فقال: نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) [(٢)].

٣٠ـ ومن حديث جابر رضي الله عنه: قال كنا مع رسول الله ﷺ نجتني الكباث ، فقال: (عليكم بالأسود منه ، فإنه أطيبه قال: قلنا: وكنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال: (نعم ، وهل من نبيّ إلا قد رعاها) [(٣)] .

٣١ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمُّون به ، إلا مرتين من الدهر ، كلتيهما يعصمني الله منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٥٥٢٤، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢/ ٢٠ ـ٢١ وابن سعد في الطبقات: ١/ ١١١ ، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٠٣، ٦٠٤ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ٣/ ٢/ ١٧٣ ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٤: رواه أبو يعلى ، والطبراني ، وإسناده حسن.
وعزاه السيوطي في الخصائص: ١/ ٨١ إلى البخاري في تاريخه ، وابن عدي وأبو نعيم ، وابن مندة .

(٢) رواه البخاري في كتاب الإجارة ، باب: رعى الغنم على قراريط ، فتح الباري: ٤/ ٤٤١ ، رقم ٢٢٦٢، وابن ماجه في سننه ، كتاب التجارات ، باب الصناعات ، رقم: ٢١٤٩ ، وابن سعد: ١/ ١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأطعمة ، باب الكباث ، حديث: ٥٤٥٣ ، ومسلم في الأشربة ، باب فضيلة الأسود من الكباث ، حديث: ٢٠٥٠ .

أغنام لأهله يرعاها: (أبصر إلي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة ، كما يسمر الفتيان ، قال: نعم ، فخرجت ، فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء ، وضرب دفوف ، ومزامير ، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة ، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس ، فرجعت فقال: ما فعلت ؟ فأخبرته .

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل ، فخرجت ، فسمعت مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت ؟ قلت: ما فعلت شيئاً. قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته » [1] .

المبحث السابع: قصة بحيرا الراهب

٣٢ـ من حديث أبي موسى الأشعري: قال: « خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يسيرون ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت .

قال: فهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء ، فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال: هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبيّ ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة .

ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل: ١٢٨ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٣٣ ، والبزار كما في الكشف برقم: ٢٤٠٣ ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان: ٨/ ٥٦ ، رقم: ٦٢٣٩ ، وانظر المطالب العالية: ٤/ ١٧٨ . رقم ٤٢٥٩ . وقال البوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن ، وابن حبان في صحيحه ، وهكذا رواه محمد بن إسحاق في السيرة ، وقال ابن حجر: هذه الطريق حسنة جليلة ، وما روي في شيء من المسانيد الكبار إلا في مسند إسحاق ، هذا وهو حديث حسن متصل ، ورجاله ثقات . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٦ رواه البزار ورجاله ثقات. وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٤/ ٢٤٥. وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .

قال: فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه ، فالتفتَ فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال: ما جاء بكم ؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإنا قد أخبرنا خبره ، بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟

قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا ، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا: لا . قال: فبايعوه وأقاموا معه .

قال: أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا: أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه (أبا بكر وبلالاً) وزوده الراهب من الكعك والزيت»[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ،باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ: ٣٦٢٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه: ١٨٣٩٠ ، وأعلام النبوة للماوردي: ١٥٥ـ١٥٦ ، وأبو نعيم في الدلائل: ٥١ـ٥٤ ، والطبري في تاريخه: ٢/ ٢٧٧ـ٢٧٩ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/ ٣٠٧ـ٣١٢ والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦١٥ ، والسيرة النبوية ، للذهبي ص: ٢٨ . وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وقال الذهبي: أظنه موضوعاً وبعضه باطل . وقال الترمذي: حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
وانظر نقد ابن كثير لهذا الحديث في السيرة النبوية له: ١/ ٢٤٣ ، وقد تكلم عليه الذهبي في السيرة النبوية له ص: ٢٨ . وقال: حديث منكر جداً ، وذكر مجموعة من الأسباب التي توضح قوله هذا .
وتكلم عليه شبيها بما قال الذهبي ، ابن سيد الناس في عيون الأثر ص: ٥٥، وقال ابن حجر في الإصابة: رجاله ثقات ، وذِكْرُ أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ ، ونقل الشيخ الألباني تصحيحه عن الجرزي ومال إلى تصحيحه في تعليقه على فقه السيرة (ص: ٦٨) ، قلت: وسنده صحيح رجاله ثقات، وذكر بلال وأبي بكر فيه غلط واضح كما قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: (١/ ٧٦) ولعلها مدرجة فيه ووهم من أحد الرواة كما قال الحافظ ابن حجر .

المبحث الثامن: مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول

٣٣ـ من حديث عبدالرحمن بن عوف قال عليه السلام: شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام ، فما أحب أن لي حمر النعم ، وأني أنكثه)[١] .

وحلف الفضول هو كما قال محمد بن إسحاق: وتداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان ، لشرفه وسنه .

وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وبنو أسد بن عبدالعزى ، وزهرة ابن كلاب ، وتيم بن مرة .

فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى يردوا عليه مظلمته .

فسَمَّت قريشاً ذلك الحلف حلف الفضول »

المبحث التاسع: زواجه من خديجة وبيان عظم منزلتها

٣٤ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:« أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه ، فصنعت طعاماً وشراباً ، فدعت أباها وزُمَراً من قريش ، فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة لأبيها: « إن محمد ابن عبدالله يخطبني فزوجني إياه ، فزوجها إياه ، فخلقَتْهُ ، وألبسته حلة ، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء ، فلما سرى عنه سكره نظر ، فإذا هو مخلَّق ، وعليه حلَّة، فقال ما شأني ؟ ما هذا ؟ فقالت: زوجتني محمد بن عبدالله ، قال: أزوج يتيم أبي طالب ، لا لعمري. فقالت خديجة: أما تستحي ، تريد أن تسفه نفسك عند قريش ، تخبر الناس أنك كنت سكران ؟ فلم تزل به حتى رضي)[٢] .

٣٥ـ ويؤيده ما جاء من حديث جابر بن سمره رضي الله عنه بنحو اللفظ

---

(١) أخرجه أحمد: ١/ ١٩٠، ١٩٣ ، وأبو يعلى رقم: ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦ ، والبزار كما في كشف الأستار: ١٩١٤، ٣٣٠٨ . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ١٧٢: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، ورجال حديث عبدالرحمن بن عوف رجال الصحيح » . وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني: ٢١/ ٩ الحديث إسناده صحيح .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١/ ٣١٢ والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٧٣ ،مختصراً والطبراني في الكبير رقم: ١٢٨٣٨ . وقال الهيثمي: ٩/ ٢٢٠: رواه أحمد ، والطبراني ، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح .

السابق ببعض زياده [1] .

وهذا يردُّ ما جاء عن المؤملي أن الذي زوج خديجة هو عمها عمرو بن أسد، لأن المؤملي متروك ، لا يعتد بكلامه . . . [2] .

٣٦ـ وعن الزهري قال: « لم يتزوج رسول الله على خديجة حتى ماتت»[3] .

٣٧ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، فقال: (أتدرون ما هذا ؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنة محمد ﷺ ، ومريم بنة عمران ، وآسية بنة مزاحم امرأة فرعون) [4] .

٣٨ـ ومن حديث علي بن أبي طالب قال عليه السلام: (خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة) [5] .

٣٩ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أتى جبريل عليه السلام النبي فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صَخَبَ فيه ، ولا نَصَب » [6] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير برقم: ١٨٥٨ ، والبزار كما في الكشف رقم: ٢٦٥٧ قال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٢٢: أخرجه الطبراني والبزار ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي ، وهو ثقة ، ورجال البزار أيضاً رجال الصحيح غير أحمد بن يحيى الصوفي ، وهو ثقة ، لكنه ليس من رجال الصحيح ، وقال ابن حجر: وكذا شيخ الطبراني ، فكان ينبغي أن يقول: ورجالهما رجال الصحيح سوى شيخيهما وأبي خالد الوالبي .

(٢) مجمع الزوائد: ٩/ ٢٢١

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٢٠: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٤) أخرجه أحمد: ١/ ٣١٦ ، ٣٢٢ ، والطبراني في الكبير: ١١٩٢٨، والحاكم: ١٨٥٣ ، وأبو يعلى في مسنده رقم: ٢٧٢٢ ،وأحمد في فضائل الصحابة: ١٣٣٩ ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي،وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح: ٧/ ١٣٣ . وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٢١ رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح.

(٥) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي خديجة: ٣٨١٥ ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين: ٢٤٣٠ ، والترمذي في المناقب ، باب خديجة: ٣٨٧٧ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف: ٧/ ٣٩٥ ، وأحمد في المسند: ١/ ١١٦ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، وفي فضائل الصحابة: ١٥٦٣ .

(٦) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار ، باب تزويج خديجة وفضلها ، فتح الباري رقم: ٣٨٢٠ ، / ١٣٣ ٧ـ ١٣٤ ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين: ٢٤٣٢ ، والترمذي في المناقب، باب فضل خديجة رقم:٣٨٧٦، وأحمد في المسند: ٢/ ٢٣١ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ١٨٥، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي فيه ، وليس الأمر كما قالاه ، فقد أخرجه الشيخان كما ترى .

المبحث العاشر

مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة

٤٠ـ من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال: « كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرضم ، وكانت قدر ما يفتحها العناقة ، وكانت غير مسقوفة ، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سدلاً عليها ، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها تأدباً ، وكانت ذات ركنين كهيأة الحلقة .

فأقبلت سفينة من أرض الروم ، حتى إذا كانوا قريباً من جدة ، تكسرت السفينة ، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها ، فوجدوا رومياً عندها ، فأخذوا الخشب أعطاهم إياه .

وكانت السفينة تريد الحبشة ، وكان الرومي الذي في السفينة نجاراً ، فقدموا ، وقدموا بالرومي ، فقالت قريش: نبني بهذا الخشب الذي في السفينة بيت ربنا .

فلما أرادوا هدمه ، إذا هم بحية على سور البيت مثل قطعة الحائر ، سوداء الظهر ، بيضاء البطن ، فجعلت كلما دنا أحد إلى البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارته ، سعت إليه فاتحة فاها .

فاجتمعت قريش عند المقام ، فعجُّوا إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فقالوا: ربنا لم ترع، أردنا تشريف بيتك ، فإن كنت ترضى بذلك ، وإلا فافعل ما بدالك .

فسمعوا خواراً في السماء ، فإذا بطائر أسود الظهر ، أبيض البطن والرجلين ، أعظم من البشر ، فغرز مخاليبه في رأس الحية ، حتى انطلق بها يجر ذنبها ، أعظم من كذا وكذا ساقطاً ، فانطلق نحو أجياد ، فهدمتها قريش ، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها ، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً .

فبينما النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد ، وعليه نمرة ، فضاقت عليه النمرة ، فذهب يضع النمرة على عاتقه ، فتُرَى عورتُه من صغر النمرة ، فنودي يا محمد، خَمِّر عورتك ، فلم ير عرياناً بعد ذلك ، وكان يرى بين بناء الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين ، وبين مخرجه وبنيانها خمس عشرة سنة »[1] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير بطوله ، وأحمد طرفاً منه ، ورجالهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ٣/ ٢٨٩ .انظر المطالب العالية: ٤/ ١٨٢ برقم: ٤٢٦٦، والفتح الرباني: ٢٠/ ١٩٨ـ ١٩٩ والرضم: الصخور ، والنمرة: الكساء المخطط .

٤١ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « إنَّ رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك ، فجعلته على منكبك ، دون الحجارة ؟ قال: فحلّه ، فجعله على منكبه ، قال: فسقط مغشياً عليه ، فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً »[1].

المبحث الحادي عشر

تحكيم قريش الرسول صلى الله عليه وسلم في رفع الحجر

٤٢ـ من حديث عليّ قال: « لما أرادوا أن يرفعوا الحجر « يعني قريشاً » اختصموا فيه ، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، قال: وكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم ، فجعلوه في مرط ، ثم رفعه جميع القبائل كلها ، ورسول الله يومئذ رجل شاب يعني قبل البعثة » وفي رواية قال: « لما رأوا النبي ﷺ قد دخل قالوا: قد جاء الأمين »[2].

المبحث الثاني عشر: تسليم الحجر عليه قبل النبوة

٤٦ـ من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ « إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن »[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة ، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها ، حديث: ٣٦٤ ، وفي الحج باب فضل مكة وبنيانها حديث: ١٥٨٢ ، وفي مناقب الأنصار ، باب بنيان الكعبة حديث: ٣٨٢٩ ، ومسلم في الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة حديث: ٣٤٠ ، وأحمد في المسند: ٣/ ٣١٠ـ٣١٣ كلهم من طريق عمرو بن دينار عن جابر .

(٢) المطالب العالية رقم: ٤٢٦٧ ، وفي مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢٩ ، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، عمير بن حفص بن عمر الضرير، وخالد بن عرعره كلاهما ثقة .
ويشهد له حديث السائب بن عبدالله عند أحمد: ٣/ ٤٢٥ ، وقال الهيثمي فيه: ٣/ ٢٩١، ٢٩٢ « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير هلال بن خباب ، وهو ثقة وفيه كلام » ورواه أيضاً الحاكم ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة رقم: ٢٢٧٧ .